

للشيخ الإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام
(٥٧٧ - ٦٦٠ هـ)

دراسة وتحقيق
د. سليمان بن وائل التويجري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فهذه رسالة مهمة في بيان مقاصد الصلاة للإمام أبي محمد العز بن عبدالسلام، رأيت من المفيد تحقيقها ونشرها ليستفيد منها الخاص والعام، وقدمت لها بدراسة موجزة تضمنت نسب الإمام العز، وحياته العلمية، ووفاته، وثناء العلماء عليه، وأشهر شيوخه، وتلاميذه.

وأهمية رسالته (**مقاصد الصلاة**) وإثبات صحة نسبتها إليه، ووصف النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق ومنهج المؤلف في رسالته.

وقمت بتحقيق النص حسب المنهج العلمي في التحقيق، وعزوت الآيات إلى مواضعها من كتاب الله تعالى، وعزوت الأحاديث إلى مصادرها وبيان الحكم عليها، وخرجت النصوص الواردة وعزوتها إلى مصادرها، ووضعت عناوين للمسائل التي رأيت إبرازها بعنوان مستقل.

نسبه ومولده(١):

عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسين بن محمد بن مهذب السلمي الشافعي، أبو محمد: عز الدين، ويختصر لقبه بالعز على ما جرت عليه العادة في عصره، أصله من بلاد المغرب ونزحت قبيلته إلى الشام فينسب إلى دمشق مكان ولادته فيقال الدمشقي ثم المصري؛ لأنه ارتحل إلى مصر وقضى بقية حياته وتوفي فيها، وهو الشافعي نسبة إلى مذهب الشافعي، السلمي نسبة إلى قبيلة عربية مشهورة تنتسب إلى سُليم بن منصور.

لقبه تلميذه الأول ابن دقيق العيد بسلطان العلماء لمواقفه القوية الناصحة للحكام وغيرهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولد بدمشق سنة (٥٧٨) وقيل سنة (٥٧٧)(٢).

حياته العلمية:

طلب العلم على كبر، وأقبل عليه بنهم، وحفظ القرآن الكريم والمتون، بدأ بكتاب التنبيه ثم أقبل على العلماء ينهل من علومهم ما فاته في صغره.

---

(١) انظر ترجمته: ذيل مرآة الزمان (١/٥٠٥)، فوات الوفيات (٢/٣٥٠)، طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/٢٠٩)، طبقات الشافعية للإسنوي (٢/١٩٧)، البداية والنهاية (١٣/٢٣٥)، شذرات الذهب (٥/٣٠١)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٣/٧٣)، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري (٢/١٢٨)، العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير للوهبي، النجوم الزاهرة (٧/٢٠٨).

(٢) طبقات الشافعية للإسنوي (٢/١٩٨)، طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/٢٤٦)، طبقات المفسرين (١/٣٢٢)، العز بن عبد السلام بائع الملوك (ص٣٨).

روى عنه الدراوردي أنه قال: "ما احتجت في علم من العلوم إلى أن أكمله على الشيخ الذي أقرأ عليه، وما توسطته على شيخ من المشايخ الذين كنت أقرأ عليهم إلا قال وقال لي الشيخ: قد استغنيت عني فاشتغل مع نفسك، ولم أقنع بذلك بل لا أبرح حتى أكمل الكتاب الذي أقرؤه في ذلك العلم"(١).

كان للبيئة التي عاش فيها أثر على توجهه لطلب العلم، إذ كانت دمشق وبغداد وقتئذ مليئتان بالعلماء الأجلاء، فنهل منهم العلم والأخلاق الفاضلة وأتقن علوم الحديث والتفسير والفقه والأصول واللغة والخلاف حتى صار أعلم أهل زمانه ومن أعبدهم لله(٢)، ويؤخذ عليه عقيدته الأشعرية في تفسير كلام الله(٣).

قال ابن كثير: "وسمع كثيراً واشتغل على فخر الدين ابن عساكر وغيره، وبرع في المذهب، وجمع علوماً كثيرة، وأفاد الطلبة، ودرّس بعدّة مدارس بدمشق وولي خطابتها، ثم سافر إلى مصر ودرّس بها، وخطب وحكم وانتهت إليه رياسة الشافعية وقصد بالفتوى من الآفاق(٤).

فكان رحمه الله عالماً عاملاً مجاهداً قوياً في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم حتى استطاع أن يبيع الملوك العبيدين بالمزاد، وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير(٥).

وفاته:

توفي رحمه الله سنة (٦٦٠هـ) بمصر، وحضر جنازته خلق كثير، وصلى عليه

---

(١) طبقات المفسرين (١/٣١٣).

(٢) طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/٢١٣)، شذرات الذهب (٥/٣٠١).

(٣) طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/٢١٨)، العز بن عبد السلام للندوي (ص١٢٢).

(٤) البداية والنهاية (١٣/٢٣٥).

(٥) طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/٢١٦).

صلاة الغائب في مصر والشام واليمن.

ثناء العلماء عليه:

كان العز بن عبد السلام محل ثناء وتقدير ممن عرفه وخاصة أهل العلم والمعرفة الأجلاء الذين يعرفون لأهل الفضل فضلهم، فقد أثنى على العز نخبة من العلماء الأجلاء، فقال عنه شيخ الإسلام الذهبي: "بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة المذهب مع الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلابة في الدين"(١).

وقال الشيخ أبو شامة أحد تلامذته: "وكان أحق الناس بالخطابة والإمامة، وأزال كثيراً من البدع التي كان الخطباء يفعلونها من دق السيف على المنبر وغير ذلك، وأبطل صلاتي الرغائب ونصف شعبان ومنع منهما"(٢).

وقال ابن كثير: "انتهت إليه رئاسة الشافعية وقصد بالفتوى من الآفاق"(٣).

أشهر شيوخه:

تلقى شيخ الإسلام العز بن عبد السلام العلم على أيدي علماء أجلاء كان لهم أثر في تكوينه العلمي والعملي، ومن أبرزهم:

(١) فخر الدين ابن عساكر: أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الملقب بفخر الدين المعروف بابن عساكر، فقيه شافعي إمام مسدد في الفتوى، توفي (١٠) رجب سنة (٦٢٠)هـ بدمشق(٤).

---

(١) البداية والنهاية (١٣ / ٢٣٥).

(٢) العبر في خبر من غبر (٥ / ٢٦٠).

(٣) طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ / ٢١٠).

(٤) وفيات الأعيان (٣ / ١٣٥)، البداية والنهاية (١٣ / ١٠١)، فوات الوفيات (٢ / ٢٨٩).

(٢) القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل أبو القاسم الأنصاري بن الحرستاني، قاضي دمشق، ولد سنة (٥٢٠ هـ) وكان قوياً في الحق فقيهاً بارعاً ورعاً زاهداً عادلاً، توفي سنة (٦١٤هـ)[١].

(٣) سيف الدين الآمدي: أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الحموي صاحب التصانيف الكثيرة في مختلف الفنون، كان حنبلي المذهب، ثم صار شافعياً أصولياً، توفي في صفر سنة (٦٣١هـ)[٢].

(٤) القاسم بن عساكر، الحافظ أبو محمد بن الحافظ أبي القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله بن عساكر، ولد سنة (٥٢٧هـ)، له مصنفات متعددة أشهرها فضل المدينة وفضل المسجد الأقصى، توفي سنة (٦٠٠هـ)[٣]، وغير هؤلاء كثير.

أشهر تلاميذه:

ترك العز بن عبد السلام نخبة من تلاميذه الذين كان لهم أثر كبير في توجيه الأمة وإفادتها، ونشر العلوم التي استفادت منها الأجيال والقرون اللاحقة إلى يومنا هذا، ومن أبرز هؤلاء التلاميذ:

(١) الإمام الحافظ تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري المعروف بابن دقيق العيد، الزاهد والمجتهد المطلق، أستاذ زمانه علماً وديناً، توفي سنة (٧٠٢هـ)، ومن مؤلفاته الإلمام وشرحه[٤].

(٢) الإمام علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن خطاب الباجي، فقيه أصولي كان مناصراً لمذهب الأشعري بالقاهرة، توفي في ذي القعدة سنة

(١) طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/١٩٦-١٩٩)، البداية والنهاية (١٣/٧٧).

(٢) البداية والنهاية (١٣/١٤٠)، لسان الميزان (٣/١٣٤)، وفيات الأعيان (٣/٢٩٣).

(٣) طبقات الشافعية (٨/٣٥٢-٣٥٣)، البداية والنهاية (١٣/٣٨).

(٤) طبقات الشافعية لابن السبكي (٩/٢٠٧، ٢١٢)، تذكرة الحفاظ (٤/١٤٨١).

(٥) طبقات الشافعية لابن السبكي (١٠/٣٣٩-٣٤٢)، الدر الكامن (٣ ١٧٦).

(٧١٤هـ)[٥].

(٣) الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المشهور بالقرافي، انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في زمنه، ومن مؤلفاته "الذخيرة"، "والفروق"، "والتنقيح"، توفي في جمادى الآخرة سنة (٦٨٤هـ)[١].

(٤) الإمام جلال الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكندي المشهور بالدشناوي، فقيه أصولي له شرح على "التنبيه"، توفي سنة (٦٧٧هـ)[٢].

(٥) الإمام شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ابن عثمان المقدسي، بلغ رتبة الاجتهاد، له كتاب الروضتين في أخبار الدولتين "النورين والصلاحية"، وكتاب "البسملة الأكبر"، "والأصغر" وغيرها، توفي سنة (٦٦٥هـ)[٣].

مؤلفاته:

خلف الإمام العز بن عبد السلام ثروة علمية في شتى المجالات، من أهمها:

١) تفسير القرآن العظيم[٤].

٢) مختصر تفسير الماوردي[٥].

٣) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز[٦].

---

(١) الديباج المذهب (١/ ٢٣٦).

(٢) طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/ ٢٠-٢٢).

(٣) طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/ ١٦٥-١٦٨).

(٤) كشف الظنون (١/ ٤٥٣).

(٥) المصدر السابق (١/ ٤٣٨).

(٦) معجم المؤلفين (٥/ ٢٤٩).

٤) فوائد في مشكل القرآن، مطبوع عدة طبعات.

٥) مختصر صحيح مسلم(١).

٦) الفرق بين الإسلام والإيمان(٢).

٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مطبوع عدة طبعات.

٨) كتاب الإمام في بيان أدلة الأحكام، حقق في رسالة جامعية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٩) مقاصد الصلاة، وهي الرسالة التي بين أيدينا.

١٠) الغاية في اختصار المطلب في دراسة المذهب لإمام الحرمين الجويني(٣).

١١) الفتاوى المصرية(٤).

١٢) الفتاوى الموصلية(٥).

١٣) بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ(٦).

١٤) مجلس في ذم الحشيشة(٧).

هذا بالإضافة إلى العديد من الرسائل والمسائل العلمية في شتى الفنون الأخرى.

(١) طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/ ٢٤٨).

(٢) المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة.

(٣) كشف الظنون (٢/ ١٨٨٤).

(٤) طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/ ٢٤٨).

(٥) كشف الظنون (٢/ ١٢١٩).

(٦) العز بن عبد السلام للندوي (ص٨١).

(٧) العز بن عبد السلام للندوي (ص٨٣).

أهمية الرسالة

وإثبات صحة نسبتها لابن عبد السلام:

ذكر ابن السبكي في كتابه الطبقات اهتمام المعاصرين لابن عبد السلام برسالة مقاصد الصلاة وعنايتهم بها، من ذلك ما جاء في أخبار الشيخ عبد اللطيف عن أبيه العز بن عبد السلام وما جرى بينه وبين السلطان الملك الأشرف(١)، قال: "وقرئت عليه أي على الملك الأشرف مقاصد الصلاة في يوم ثلاث مرات تقرأ عليه وكلما دخل عليه أحد من خواصه يقول للقارئ: اقرأ "مقاصد الصلاة" لابن عبد السلام حتى يسمعها فلان ينفعه الله بسماعها".

ولما دخل على السلطان الملك الأشرف الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزي وكان واعظ زمانه وله قبول عظيم عند الناس، ناوله السلطان "**مقاصد الصلاة**" وقال: اقرأها، فقرأها بين يديه، واستحسنها، وقال: لم يصنف أحد مثلها، فقال له: طرّز مجلسك الآتي بذكرها، وحرِّض الناس عليها، فلما جاء ميعاد درسه الذي كان كل سبت صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ وقال: اعلموا أن أفضل العبادات البدنية الصلاة، وهي صلة ما بين العبد وربه، فعليكم بمقاصد الصلاة تصنيف ابن عبد السلام فاسمعوها وعوها واحفظوها وعلموها أولادكم ومن يعز عليكم، وكان لها وقع عظيم في ذلك المجلس وكتب منها من النسخ ما لا يحصى عدده"(٢).

وصف النسخ:

اعتمدت في تحقيق المخطوط على نسختين هما:

---

(١) هو السلطان موسى بن الملك العادل بن أيوب ملك الشام زمن ابن عبد السلام، طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/٢١٨).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٨/٢٣٩).

أولاً: نسخة (أ):

* ٦ لوحات.

* ٢١ سطر.

* ١٤ كلمة في السطر.

* خط نسخ جيد.

* النسخ ضمن مجموع يبدأ من ص١٢٠ إلى ص١٢٥، بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٤ / ٦٧٩ .

* يوجد ركاكة في بعض الأساليب سببها النساخ كما في ص١١ قوله: (ولما أرشأ الركوع والسجود) يستعمل الياء بدل الهمزة، مثل: (ساير)، بدل (سائر)، ويستعمل الواو بدل الهمزة مثل (وكد) بدل (أكد).

ثانياً: نسخة (ب):

* ٤ لوحات.

* ٣٩ سطر.

* ١٤ كلمة في السطر.

* خط نسخ جيد.

* النسخة ضمن مجموع بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٦) مجاميع.

منهج المؤلف

في رسالته مقاصد الصلاة:

نظراً لما اعتاده الشيخ العز من الوعظ والخطابة وتدريس العامة جاءت رسالته في

مقاصد الصلاة متأثرة بذلك من حيث الأسلوب السهل الممتع الواضح للعامة، كما يغلب عليه أسلوب الإسهاب في بعض المواضع، وقد اعتمد في طريقة عرضه لهذا الموضوع على الاستدلال بالكتاب والسنة والمأثور من كلام السلف، كما يستشهد في القضايا اللغوية بكلام العرب من شعر ونثر، ويظهر في رسالته قدرته على فهم النصوص، واستقلاليته في تحليل المسائل وتحرره من التقليد وبلوغه رتبة الاجتهاد، رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

مقاصد الصلاة

للشيخ الإمام

الشيخ عز الدين بن عبد السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً.

قال الشيخ الفقيه العالم، الصدر المفتي الفاضل، شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الشافعي تولاه الله بالحسنى وزينه بالتقوى.

(قاعدة)

مقصود العبادات كلها التقرب إلى الله عز وجل، ومعنى[١] التقرب إلى الله عز وجل[٢] القرب من جوده وإحسانه المختصين بعباده المؤمنين، وأن يعامل المتقرب إليه معاملة من تقرب إليه بالطاعة والتعظيم والخضوع والتفخيم وإلا فالقرب من ذاته محال؛ لأن القرب والبعد من صفات الأجسام[٣].

---

(١) في (أ) "ويعني".

(٢) في (ب) "سبحانه وتعالى".

(٣) قلت: ما ذهب إليه الشيخ في هذه المسألة هو رأي الأشاعرة وهو خلاف الصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة من أن القرب من ذات الله تعالى لأوليائه يوم القيامة غير محال، وأنه لا يترتب على ذلك الوصف بالجسم.

انظر: الحموية (ص١١٠)، والتدمرية (ص٧٩) وما بعدها.

معنى قرب الله من خلقه :

ولقربه من خلقه معنيان(١) :

أحدهما : قربه بالعلم والرؤية وشمول السلطان .

والثاني : القرب بالجود والإحسان، فالقرب الأول عام لجميع الأكوان، والقرب الثاني خاص بأهل الإيمان، ودل على القرب الأول قوله تعالى : ﴿ **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾(٢)، ودل على القرب الثاني قوله : ﴿ **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** ﴾(٣)، وقوله : ﴿ **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ** ﴾(٤)، ﴿ **فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩)** ﴾(٥).

---

(١) قلت : ما ذكره الإمام العز بن عبد السلام من معاني القرب غير صحيح، إذ أول معنى القرب بهذين المعنيين، والمعنى الصحيح الذي ورد في الكتاب والسنة وذهب إليه السلف هو قرب الله تعالى من عباده قرباً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته لا نعلم كيفيته، وأنه يقرب من عباده عشية عرفة كما ورد في الحديث" ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول : ما أراد هؤلاء؟" أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث رقم (١٣٤٨) (٢/ ٩٨٢).

كما يقرب من عبده وهو ساجد ففي الحديث "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٢) (١ / ٣٥٠).

فهو قرب خاص في بعض الأحوال دون بعض، ويقرب سبحانه ممن تقرب إليه كما ورد في الحديث القدسي "إذا تقرَّب العبد إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة" أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه تعالى، حديث رقم (٧٥٣٦)، (٧٥٣٧)، الفتح (١٣ / ٥١٢)، فقرب الشيء من الشيء مستلزم تقرب الآخر منه، انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥ / ١٢٨) وما بعدها.

(٢) سورة المجادلة آية (٧).

(٣) سورة العلق آية (١٩).

(٤) سورة المطففين آية (٢٨).

(٥) سورة الواقعة آية (٨٨-٨٩).

درجات العبادات وترتيبها:

وفضائل العبادات وشرفها على قدر درجاتها وفائدتها، فحيث عظمت الفائدة كانت العبادة أفضل، وتترتب[1] فضائل العبادات بترتب[2] فوائدها، فأعظم العبادات فائدة هي أفضل العبادات، وذلك معرفة الله عز وجل[3]، والإيمان[4] الذي هو شرط في كل عبادة فإن الله لا ترضيه[5] عبادة كافر ولا يقبل له عملاً فإن سخطه عليه مسرمد[6]، ولا يلحقه عفو ولا يشوبه رضى ولا يتصور مع ذلك قرب، ولذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[7]، أي: الذين اتقوا الكفر[8]، ﴿**وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ**﴾[9].

فمن العبادات ما تختص فائدته بالمكلف كالصوم والحج والعمرة والاعتكاف، ومنها ما يتعدى المكلف كالصدقات والكفارات وعلى قدر التعدي يكون الفضل.

معنى كون الصلاة أفضل العبادات بعد الشهادتين:

فلذلك كانت الصلاة[10] أفضل عبادات الأبدان بعد المعرفة والإيمان؛

---

(١) في (أ) "وترتبت".

(٢) في (أ) "ترتب".

(٣) من توحيد أفعاله.

(٤) أي توحيد الله بأفعال العباد.

(٥) في (أ) "لا يرضين".

(٦) في (أ) "سرمد".

والسرمد: الدائم الذي لا ينقطع، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ الآية (٧١) من سورة القصص، وانظر لسان العرب مادة (سرمد)..

(٧) سورة المائدة آية (٢٧).

(٨) انظر تفسير الطبري (٦/ ١٩١).

(٩) سورة التوبة آية (٥٤).

(١٠) في (أ) "فكذلك كتاب الصلوات".

لأن[١] فائدتها تنقسم إلى مختصة بالمصلي، وإلى[٢] متعلقة بالله ورسوله وجميع أهل الإيمان.

فأما تعلقها بالمصلي: فما فيها من الدعاء بالمصلحة العاجلة والآجلة، وتشريفه بالمناجاة حتى قال ﷺ: "المصلي يناجي ربه"[٣].

وأما تعلقها بالله: فلأنها مشتملة على الثناء عليه بجميع ما يمكن المخلوقين الثناء به[٤] عليه من جهة الإجمال، فإن الثناء عليه إمام بإثبات صفات الكمال الذي فهمناه، أو نفي النقص الذي عقلناه[٥]، أو إثبات كمال وسلب وراء ما عرفناه، أو إثبات تفرده بالكمال الذي ذكرناه من جهة التفصيل والإجمال.

وأما تعلقها برسوله ﷺ فلما فيها من السلام عليه والشهادة له بالرسالة ثم الصلاة عليه وعلى آله.

وأما تعلقها بجميع عباده المؤمنين فبقوله: "السلام علينا وعلى عباد الله....[٦] الصالحين".

فإن ذلك متعلق بكل عبد صالح من أهل السموات والأرضين، كذلك أخبرنا

---

(١) في (ب) "وفائدتها".

(٢) في (أ) "فإن".

(٣) رواه مالك في الموطأ، الحديث رقم (١٧٤)، ونصه: "أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال: إن المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجيه به، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن"، قال ابن عبد البر: "حديث ثابت صحيح".

شرح الزرقاني على الموطأ (١ / ١٦٨).

(٤) في (أ) "الثناء عليه".

(٥) في (أ) "علمناه".

(٦) في (أ) "وعلى عباد الله المؤمنين الصالحين".

ولعله سبقه قلم أو زيادة من الناسخ حيث لم يرد بهذه اللفظة في أي رواية من روايات التشهد فيما اطلعت عليه، وفي (ب) بلفظ "سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"

سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ وعلى آله أجمعين، ولشرفها وفضلها وصفت[1] بالنهي عن الفحشاء والمنكر[2] ورفع الدرجات وتكفير الخطيئات[3].

المقصود من الصلاة:

ومقصودها الأعظم تجديد العهد بالله، وقد اشتملت من أعمال القلوب والألسن والجوارح، فرضاً وندباً على ما لم يشتمل عليه غيرها، ونهى فيها عن أعمال وأقوال لم ينه عنها في غيرها، كل ذلك ليتوفر المكلف على الإقبال عليها؛ لأن مقصودها تجديد العهد بالله، ولذلك[4] جعلت لها مواقيت متقاربة لئلا[5] يبعد عهد العبد بذكر الله، قال الله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾[6].

فالفرض فيها من أفعال القلوب:

١) النية.

٢) والإخلاص.

٣) والإيمان.

والمندوب من ذلك شيئان:

أحدهما: الذلة والخضوع والضراعة والخشوع.

الثاني: ملاحظة معاني[7] أذكار الصلاة وقراءة القرآن.

---

(١) في (أ) "وصف".

(٢) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ (٤٥) العنكبوت.

(٣) في قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ..**﴾ الآيات (٢) المؤمنون.

(٤) في (أ) "وكذلك".

(٥) في (ب) "إلا".

(٦) سورة طه (١٤).

(٧) في (ب) "ملاحظة أذكار الصلاة".

حقوق الصلاة

ثم حقوق الصلاة منقسمة إلى واجب ومندوب، فحق الله في الفاتحة في شطرها الأول؛ لأنه ثناء عليه، وحق المصلي في الشطر الثاني؛ لأنه استعانة بالله وتضرع إليه، قال الله تعالى: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل"(١).

فهذان الحقان واجبان عند جمهور العلماء، وانفرد الرب سبحانه وتعالى بالتكبير، والقيام، والركوع، والتسبيح فيه، والاعتدال عنه، والذكر فيه وفي السجود.

وأما الدعاء في الجلوس بين السجدتين فمختص بالعبد مع ما يستحق الرب فيه من الضراعة والتذلل، وهذه أذكار مندوبة(٢) سوى تكبيرة الإحرام فإنها

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وتمامه: "..... فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل" صحيح مسلم (١ / ٢٩٦)، كتاب الصلاة (٣٨) رقم الحديث (٣٩٥).

(٢) هذا قول أكثر الفقهاء كأبي حنيفة ومالك والشافعي، ورواية عن الإمام أحمد.

انظر كنز الدقائق وشرحه تبيين الحقائق (١ / ١٠٧)، مواهب الجليل، والتاج والإكليل (١ / ٥٣٨)، المجموع (٣ / ٤١٤)، المغني (١ / ٥٠٢). وحجتهم: حديث المسيء صلاته فإن النبي ﷺ علمه ولم يعلمه هذه الأذكار مع أنه علمه تكبيرة الإحرام والقراءة فلو كانت هذه الأذكار واجبة لعلمه إياها؛ ولأنه لو كان واجباً لم يسقط بالسهو = =والمشهور من مذهب الإمام أحمد القول بوجوب هذه الأذكار وهو قول إسحاق بن راهويه وداود، وحجتهم: ان النبي ﷺ فعله وأمر به، وأمره للوجوب، وقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي"، واستدلوا أيضاً بما رواه أبو داود والنسائي مما نص فيه على وجوب التكبير من حديث علي بن يحي بن خلاد عن عمه أن رجلاً دخل المسجد فذكر نحوه – أي نحو حال المسيء صلاته – قال فيه: فقال النبي ﷺ: "إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء – يعني مواضعه – ثم يكبر ويحمد الله جل وعزّ ويثني عليه ويقرأ بما تيسر من القرآن ثم يقول: الله أكبر ثم يركع حتى تطمئن مفاصله، ثم يقول: سمع الله لمن حمده حتى يستوي قائماً، ثم يقول: الله أكبر ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله ثم يقول: الله أكبر ويرفع رأسه حتى يستوي قاعداً، ثم يقول: الله أكبر ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله ثم يرفع رأسه فيكبر،=

واجبة[١].

وأما التشهد الأول والأخير فيشتملان:

* على حق الله.

* وحق الرسول ﷺ.

* وحق المصلي.

* وحق أهل الإيمان.

فحق الله: ما كان ثناء على الله، وحق رسول الله ﷺ التسليم عليه، مع الشهادة له بالرسالة في التشهدين والصلاة عليه[٢] في التشهدين والصلاة على آله في الأخير، وسائر المؤمنين في[٣] قوله: "سلام[٤] علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن

=فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته".

سنن أبي داود (١/٥٣٦) رقم الحديث (٨٥٧)، صحيح سنن النسائي (١/٢٤٤) حديث رقم (١٠٨٨)، وقال الشيخ الألباني عن الحديث: صحيح، وانظر في الموضوع المجموع (٣/٤١٤)، المغني (١/٥٠٢، ٥٠٣).

وأجابوا: عن حديث المسيء صلاته في الرواية التي لم تذكر فيها هذه الأذكار بأن عدم ذكرها لا يلزم منه عدم وجوبها ولعلّه علّمه ما رآه قد أساء فيه بدليل أنه لم يعلمه التشهد والسلام وهما واجبان، ثم إن الرواية التي احتج بها القائلون بالوجوب زيادة لا تعارض الرواية الأخرى فيجب قبولها. المغني (١/٥٠٣).

(١) مراده: ركن من أركان الصلاة، المجموع (٣/٢٨٩).

(٢) للشافعية قولان في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأول، القول القديم في المذهب لا يشرع وبه قطع أبو حنيفة وأحمد وإسحاق، وحكي عن عطاء والشعبي والنخعي والثوري، والقول الجديد عند الشافعية أنها تشرع. المجموع (٣/٤٦٠).

(٣) في (ب) "على قوله".

(٤) ذكر (سلام) بالتنكير، والذي ورد في كتب السنة (السلام علينا..) بال وهي رواية البخاري ومسلم وغيرهما، صحيح البخاري، باب التشهد في الآخرة، حديث (٨٣١)، صحيح مسلم (١/٣٠١-٣٠٢، ٣٠٤) حديث (٤٠٢، ٤٠٤).

وقال النووي في المجموع: اتفق أصحابنا على أن جميع هذا جائز لكن الألف واللام أفضل لكثرته في الأحاديث، وكلام الشافعي ولزيادته فيكون أحوط، ولموافقته سلام التحلل من الصلاة.

المجموع (٣/٤٥٩، ٤٦٠).

قلت: بل لازمه هو الموافق للروايات الصحيحة المتفق عليها.

السلام مصدر سلم يُسلم سلاماً، وقيل: إنه جمع سلامه كملامة وملام[١]، فهو دعاء بالسلامة من جميع المعاطب[٢] والآفات، ولذلك جعل تحية من عند الله مباركة طيبة ولا شيء أفضل من السلامة من الشرور والآفات ولا سيما في الطاعات والعبادات، وكذلك دعاؤه لنفسه وللمؤمنين في آخر الصلاة[٣]، والتسليم الذي يخرج به من الصلاة مختص بمن حضره[٤] من عباد الله المؤمنين.

فانظر إلى ما جمعته الصلاة[٥] من الخيرات واشتملت عليه من البركات، وكيف بُدي[٦] أولها بالله عز وجل[٧] ثم يطلب أفضل المهمات وهو هداية الصراط المستقيم إلى الله، وختم آخرها بالثناء على الله عز وجل بالتحيات، ثم بالأهم بعده وهو السلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، ثم بالأهم بعده وهو نفس المصلي إذ يقول: سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

ثم الصلاة مشتملة على الباقيات الصالحات المشتملة على الثناء على الله بجميع ضروب الجلال ونعوت الكمال تارة بالتفصيل، وتارة بالإجمال، فهي مشتملة على الحمد له[٨] في قراءة الفاتحة وفي الرفع من الركوع وهي حاوية لجميع صفات الكمال لاستغراق الألف واللام فيها[٩] لذلك وهي مشتملة على التسبيح

(١) الصحاح (٥/١٩٥١)، مادة (سلم)، المفردات، مادة (سلم) (ص٢٣٩).

(٢) المعاطب: المهالك، واحدها معطب، والعطب: الهلاك، انظر الصحاح (١/١٨٤)، مادة (عطب).

(٣) مما ورد كقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ...﴾.

(٤) في (ب) "بمن حضر".

(٥) في (أ) "الصلوات".

(٦) في (أ) "يثنى".

(٧) أي أول الفاتحة من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾.

(٨) في (أ) "الذي".

(٩) في قوله تعالى في بداية الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي الرفع من الركوع قول "ربنا ولك الحمد".

الدال على التبرئ من العيوب والنقصان[١] وعلى التكبير الدال على استغراقه لجميع صفات الجلال ونعوت[٢] الكمال مما لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ثم على الشهادة بالتوحيد في قوله أشهد أن لا إله إلا الله. والتوحيد راجع إلى تفرده باستحقاق العبودية على جميع البرية، ولا يستحق[٣] ذلك إلا من اتصف بما ذكرناه[٤]، وقد جعلت مظنة لقراءة القرآن المشتمل على علم الأولين والآخرين فيما يتعلق بأمور الدين، فهذه أقوالها من جهة الإجمال.

وأما أفعالها فالقيام فيها أحد ضروب التعظيم، والركوع والسجود كذلك، ولهذا اختص الركوع بقوله: سبحان[٥] ربي العظيم؛ لأن العظمة تناقض[٦] الذلة والخضوع[٧]، فلما صار إلى حال التذلل اعترف للمعبود بالعظمة الموجبة لذلك الخضوع، فلما صار إلى السجود وهو أشد تذللاً من الركوع اختص بقوله: سبحان ربي الأعلى، فإنه لما صار إلى غاية الخضوع اعترف للمعبود باستحقاقه العلو المقتضي لغاية الخشوع وأخرج قيامها وقعودها وركوعها وسجودها عن المعتاد لئلا يشتبه ما يفعل لله بما يفعل لغيره[٨] كاستقبال القبلة وغير ذلك من

(١) أي قول سبحان ربي العظيم في الركوع، وسبحان ربي الأعلى في السجود، وتسبيح الله وتنزيهه في هاتين الحالتين اللتين يكون الإنسان فيهما في حال كمال التذلل والخضوع لله سبحانه الكامل في ذاته وأفعاله وصفاته.

(٢) في (أ) "صفات الكمال مما لم...".

(٣) في (ب) "ولا يتصف بذلك".

(٤) من صفات الكمال.

(٥) في (أ) "سبحان ربي العظيم" ولعله سهو، والصواب ما أثبتناه لما ورد في السنة، ولم يقل أحد من الشافعية بخلاف ذلك.

انظر المجموع (٣/٤١٣).

(٦) في (أ) "تقاضي".

(٧) في (ب) "والخشوع".

(٨) في (أ) "لغير الله".

الهيئات[١].

ولما كان القيام والقعود فيها مشبهاً لقيام العادة من وجه وجب في بعض جنس القيام والقعود أن يخرجه عن مشابهة المعتاد، ولما امتاز الركوع والسجود بصورتهما لم يجب فيهما ذكر[٢]، وإذا ميزت أفعالها عن أفعال عادة الإنسان فأولى أن تميز[٣] عن أفعال الحيوان فلذلك نهي فيها عن الإقعاء[٤] وعن تدبيح[٥] الحمار ونحو ذلك، فنعود إلى ملاحظة المعاني وعلى الجملة فالكلام وأحوال القلوب ثلاثة أقسام[٦]:

الأول: ما يتعلق بالله وحده كمعرفته والإيمان به وملاحظة جلاله وكماله، وقوله: سبحان الله والحمد لله، فهذا إقبال على الله عز وجل بالكلية.

الثاني: ما يتعلق بغير الله كملاحظة مجرد[٧] الأمور الدنيوية والأعراض الدنية كقولك: قمت وقعدت ودخلت وخرجت فهذا[٨] إعراض عن الله بالكلية.

الثالث: ما يتعلق بالله من وجه، وبغيره من وجه، كحال الخوف والرجاء فإنهما

---

(١) أي هيئات القيام من وضع اليدين على الصدر والنظر إلى موضع السجود وهيئة الركوع بوضع اليدين على الركبتين واستواء الظهر وهيئة السجود على الأعضاء السبعة وهيئة الجلوس من نصب القدم اليمنى وافتراش اليسرى أو التورك وعقد الإبهام اليمنى مع الوسطى والإشارة بالسبابة في اليد اليمنى ووضع اليد اليسرى على الفخذ اليسرى ممدودة الأصابع.

(٢) سبق ذكر الخلاف بين العلماء في ذلك، انظرها هامش (ص٧).

(٣) في الأصل "يتميز".

(٤) الإقعاء: هو أن يلصق إليتيه على الأرض وينصب ساقين ويضع يديه على الأرض كما يقعي الكلب. المصباح المنير، مادة (أقعى) (١/ ١٦٩).

(٥) تدبيح الحمار: هو أن يطاطا الإنسان رأسه في حال الركوع حتى يكون أخفض من ظهره، المصباح المنير (١/ ٢٠٢) مادة (دبح).

(٦) ساقطة من (أ).

(٧) ساقطة من (ب).

(٨) في (أ) "فهذه".

يتعلقان بما يصدر عن القدرة والإرادة من جلب نفع أو دفع شر وذلك إقبال على الله من وجه وإعراض[١] من آخر، وكذلك التوكل مع عزته فيه نقص، فإن حقيقته[٢] اعتماد القلب على الله فيما يعطيه أو يمنعه فله تعلق بالقدرة والإرادة[٣] ولكن سببه من النفس من جهة ملاحظتها لإعراضها، وذلك شغل بغير الله.

معنى الخشوع في الحركات والانتقالات والأدعية

ولما كان مقصود الصلاة الذكر وجب أن يتعرف[٤] قدر المذكور وملاحظته ليُلزم معه[٥] الأدب فافتتحت[٦] بالتكبير الدال على الكبرياء ليعلم لمن هو قائم وقاعد وراكع وساجد، ليخضع له خضوعاً يجب مثله لكبريائه، فإذا لاحظ كبريائه لزم آداب الصلاة الظاهرة والباطنة واشتغل بالله وحده وإلى هذا الإشارة بقوله عليه السلام: "وفرّغ قلبه لله"[٧]، وقوله عليه السلام لما سئل عن الإحسان فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه"[٨]، ومن عبد الله فرغ قلبه وخرج عن الأكوان، ولذلك شرع التكبير لله في جميع الانتقالات؛ لأن اشتغاله في أطوار الصلاة بملاحظة أذكارها

(١) في (أ) "والإعراض".
(٢) في (أ) "حقيقة".
(٣) ساقطة من (أ).
(٤) لعل الأولى أن يعرف.
(٥) في (أ) "مع" والصواب "معه"، وساقطة من (ب) ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٦) في (أ) "فافتتح".
(٧) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، حديث رقم (٢٩٤)، الرقم العام (٨٣٢)، (١/٥٦٩-٥٧١).
(٨) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث (٥٠) (١/١١٤) مع شرحه فتح الباري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث (١) (١/٣٦-٣٧).

قد يشغله[١] عن ملاحظة الكبرياء فشرع في ابتداء كل طور تجديد ملاحظة الكبرياء ليوفي ذلك الطور حقه من الخضوع والخشوع، فإذا كبر قال: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً"[٢]، أي: صرفت قصدي إلى من هذا شأنه، وهذا هو عين التوحيد والإنابة والتفريد، إذ جعل جملة قصده مختصاً بمن فطر السموات والأرض، وفطر بمعنى خلق وابتداء وشق فكأنه شق العدم بالإيجاد، وفطْرُ السموات والأرض مختص بالإله الحق.

قوله: "حنيفاً" أصل الحنف الميل، والحنيف ها هنا هو المائل عن الأديان إلى الدين الحق، فإن الله أخرج الخلق من بطون أمهاتهم لا يعرفونه ولا يعلمون شيئاً فمن آمن بالله وعرفه فقد مال عما خرج عليه الخلق من بطون أمهاتهم[٣].

قوله: "مسلماً"[٤] الإسلام يطلق[٥] باعتبارات، والمراد به ها هنا الانقياد إلى الطاعة بالظاهر والباطن سراً وجهراً[٦].

---

(١) في (أ) "شغله".

(٢) سنن النسائي (٢/١٢٩–١٣٠)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، انظر صحيح سنن النسائي (١/١٩٥) حديث (٨٦٢)، سنن ابن ماجه (٢/١٠٤٣) حديث (٣١٢١).

ونص الحديث عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا استفتح الصلاة كبر ثم قال: "وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحايي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين...." الحديث.

(٣) قال ابن جرير: الحنيف المستقيم من كل شيء....، وقال أيضاً: الحنيف عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه في ملته.

جامع البيان (ج١ص٥٦٥–٥٦٦)، وقال في المصباح المنير: الناسك والحنيف: المسلم؛ لأنه مائل إلى الدين المستقيم (ج١ص١٦٧).

(٤) أخذاً من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران آية (٦٧).

(٥) في (أ) "ينطلق".

(٦) المصباح المنير (١/٣٠٧)، لسان العرب (١٢/٢٩٣).

قوله: "وما أنا من المشركين" معنى الشرك مناف للتوحيد[١]، والتوحيد تعلق بالذات[٢] والصفات[٣] والعبادات[٤].

والشرك يطلق باعتبارات:

أحدها: الإشراك في الألوهية ونفيه بالاعتراف بأن الله لا إله سواه، فتبرأ بذلك[٥] من النصارى[٦] وعبدة الأوثان.

الثاني: الإشراك بالتشبيه ونفيه بالاعتراف بأن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فتبرأ بذلك من الحشوية[٧] وأضرابهم.

الثالث: الإشراك في القدم ونفيه الاعتراف بأن لا قديم سواه فيتبرأ بذلك من الفلاسفة القائلين بقدم العالم[٨] فإن الله لا شريك له في القدم كما لا شريك له في الألوهية.

---

(١) في (ب) "بالتوحيد".

(٢) تعلق بالذات: يعني توحيد الله في أفعاله وهو توحيد الربوبية من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والنفع والضر ونحوها. انظر تيسير العزيز الحميد (ص١٧).

(٣) وتعلقه بالصفات: يعني توحيد الله في أسمائه وصفاته بإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. تيسير العزيز الحميد (ص١٩).

(٤) وتعلقه بالعبادات: يعني توحيد الله في أفعال العباد، وهو توحيد الألوهية، فيصرف جميع أنواع العبادات من دعاء ونذر واستعانة واستغاثة وتوكل وخوف ورجاء وغيرها وسائر العبادات البدنية والمالية لله وحده. تيسير العزيز الحميد (ص٢٠).

(٥) في (أ) "من ذلك".

(٦) بل من النصارى واليهود؛ لأن اليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، فكلاهما مشرك.

(٧) الحشوية: نسبة إلى الحشو طائفة تمسكوا بالظواهر وذهبوا إلى التجسيم.

الملل والنحل للشهرستاني (١/١٣٩).

(٨) انظر الفصل في الملل والنحل (١/٩).

الرابع: الإشراك في الأفعال ونفيه بالاعتراف بأن لا فاعل سواه فيتبرأ بذلك من مذهب القدرية(١)، فإن الله لا يشارك في إيجاد الأفعال كما لا يشارك في الألوهية والقدم.

الخامس: الإشراك في العبادة ونفيه بالاعتراف بأن لا مستحق للعبادة سواه فيتبرأ بذلك ممن عبد إلاهاً آخر(٢).

السادس: الإشراك في الملك ونفيه بالاعتراف بأن لا مالك سواه، وقد يطلق الإشراك باعتبارات أخر وكل ذلك مندرج في قوله: ﴿ **وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ لدخول الألف واللام المستغرقة على المشركين.

قوله: "إن صلاتي ونسكي" تأكيد لنفي الإشراك في العبادات(٣).

"محياي ومماتي"(٤) تأكيد لنفي الإشراك في الملك حتى أن الحي لا يملك حياة نفسه ولا موتها فما الظن بحياة غيره وموته، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ** ﴾(٥).

---

(١) القدرية: فرقة خارجة عن الإسلام، قال عنها النبي ﷺ: "إن لكل أمة مجوساً وإن مجوس هذه الأمة القدرية فلا تعودوهم إذا مرضوا ولا تصلوا على جنائزهم إذا ماتوا" رواه أحمد (٥ / ٤٠٦)، وأبو داود (ج٥ص٦٧).

وأول من تكلم بالقدر معبد الجهني تلميذ سوسن النصراني، قتله عبد الملك بن مروان سنة (٨٠هـ)، وعقيدة القدرية هي اعتقادهم أن الله لم يكن عالماً بشيء قبل وقوعه وانه لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد، وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله، والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع. انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣ / ٣٦-٣٧).

(٢) وهذا هو تحقيق توحيد الألوهية.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) سورة يونس (٣١).

قوله: "رب العالمين" العالمون عبارة عن جميع الموجودات سوى الله عز وجل، وقد خصه بعضهم بأولي العلم من الموجودات(١).

وتعميمه في الجميع(٢) أبلغ في(٣) المدح لشمول الربوبية للكل، والرب يطلق باعتبارات، والمراد به هاهنا الملك كقولك رب الدابة ورب الدار(٤)؛ لأنه لما أثنى عليه بأنه المالك لحياته وموته انتقل إلى الثناء عليه بعموم ملكه لسائر الموجودات.

قوله: "لا شريك له" أي في الربوبية وفطر الأرض والسموات، واستحقاق العبادات(٥).

قوله: "وبذلك أمرت" ذلك إشارة إلى توجيهه وجهه إلى من هذا شأنه.

قوله: "وأنا من المسلمين" أي المنقادين إلى ذلك(٦) مما أمروا به.

تفصيل معنى الخشوع في الأذكار والأدعية

وأما تفصيل ملاحظة الأذكار والأدعية فينبغي أن يلاحظ في كل ذكر معناه الخاص به، ويستحضره بقلبه ويثني على الله(٧) بلسانه مع حضور معناه في قلبه فيكون مثبتاً(٨) بقلبه ولسانه، ولا يشغله عن ملاحظة الذكر معنى آخر وإن كان أفضل منه، فإن لكل مقام مقالاً، وهكذا أدب القراءة فينبغي له أن يقدر نفسه

(١) ساقطة من (أ).
(٢) في (ب) "للجميع".
(٣) في (أ) "من".
(٤) انظر المصباح المنير (١/ ٢٢٩).
(٥) كان الأولى أن يقدم استحقاق الله تعالى بالعبادة وحده (توحيد الألوهية) على توحيده في ربوبيته؛ لأن توحيد الألوهية هو رسالة الرسل ومحل نزاعهم مع أممهم، ولعل الشيخ تأثر برأي الأشاعرة في هذا.
(٦) ساقطة من (ب).
(٧) في (ب) زيادة "به".
(٨) في (أ) "مثنياً عليه".

سامعاً للقرآن من الله عز وجل فيصغي إليه إصغاء العبد الذليل إلى الرب الجليل، ويلاحظ معاني الكلام ولا يشتغل عن معنى كلمة بمعنى كلمة أخرى، وإن كانت أفضل منها فإنه لو اشتغل بغير ما هو بصدده لكان معرضاً عن استماع كلام ربه، وذلك سوء أدب(١)، ويدخل به الشيطان على أهل العرفان فإنه يشغل الفاسق في(٢) صلاته عن الإصغاء إلى معاني القرآن(٣)، فإن لم يقدر على ذلك وكان المصلي من أهل الطاعة والمعرفة شغله عن الإصغاء إلى معاني ما شرع في الصلاة من الذكر والقراءة بذكر آخر ندب إليه في غير تلك الحال حتى قال يحي بن معاذ الرازي(٤): "إن الشيطان ليشغلني عن صلاتي بذكر الجنة والنار".

فينبغي للقارئ إذا قرأ آيات الصفات أن لا يكون له شغل إلا ملاحظة ما اشتملت عليه تلك الآيات من العزة والجلال والقدرة والكمال والإنعام والإفضال، وإن(٥) قرأ آيات القصص أن يشتغل بملاحظة ما فيها من العبر والأمثال، وإذا(٦) قرأ آيات الأمر والنهي يلاحظ معنى ما أمر به ونهي عنه عازماً على الطاعة والامتثال.

---

(١) ولذلك امتدح الله سبحانه الخاشعين في صلاتهم ووعدهم بالفلاح والخلود بجنات الفردوس كما ورد في أول سورة المؤمنون، وفي غيرها.

(٢) في (أ) "به".

(٣) في (ب) "إحضار المخالفة والعصيان".

(٤) يحي بن معاذ أبو زكريا الرازي، حكيم زمانه وواعظ عصره، زاهد عابد، صاحب حكم وكلام بليغ في الوعظ والتذكير، نزل الري ثم انتقل منها إلى نيسابور، توفي في يوم الاثنين (١٦) جمادى الأولى سنة (٢٥٨هـ).

ومما قاله: "على قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق".

ترجمته في: تاريخ بغداد (٤/ ٢٠٨)، حلية الأولياء (١٠/ ٥١)، صفة الصفوة (٤/ ٩٠)، وفيات الأعيان (٦/ ١٦٥)، شذرات الذهب (٢/ ١٣٨).

(٥) في (ب) "وإن من قرأ".

(٦) في (ب) "وإن".

أمثلة لكيفية الخشوع

أمثلة ذلك: إذا قال: سبحان ربي العظيم، أن يلاحظ معنى التسبيح وهو سلب النقص عن الذات والصفات، ويلاحظ معنى الربوبية ومعنى العبودية بقوله "ربي"، واقفاً على معنى العظمة المستوجبة للربوبية والتسبيح.

وكذلك يلاحظ معنى العلو في قوله: "سبحان ربي الأعلى"، فإن لم يلاحظ ذلك فقد فاته ذكر القلب وهو أفضل الذكرين[١].

وإذا قال: "إياك نعبد"، أن يلاحظ معنى العبادة وهي الطاعة على غاية الخضوع.

"وإياك نستعين": أن يلاحظ معنى الاستعانة وخاصية الاستعانة واختصاصها بالله دون غيره.

وإذا طلب الهداية فليلاحظ[٢] معناها من الإرشاد وخلق المعرفة في قلب المهتدي، وأن يلاحظ معنى "الصراط" وهو التوحيد ودين الإسلام والعمل بموجبهما.

وإذا انتهى إلى التحيات والسلام على النبي ﷺ وغير ذلك من الكلمات فيلاحظ من كل كلمة منها معناها الخاص بها، فهذه الصلاة التي وصفها الله تعالى بأنها[٣] تنهى عن الفحشاء والمنكر[٤] فإن ملاحظة هذه المعاني توجب في قلب المصلي إجلالاً وتعظيماً يمنعانه من الفحشاء ويحجزانه عن المنكر.

---

(١) المراد بالذكرين: ذكر اللسان والقلب، وفي نسخة (ب) "الذكر".

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ آية ٤٥، سورة العنكبوت.

(٤) في (ب) "فيلاحظ".

مثال ملاحظة الصفات في القراءة:

إذا قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فأن يلاحظ معنى توحيده وهو تفرد ذاته وصفاته عن موجد أوجدها أو موجب أوجبها وتفردها بالقدم، بأنه لا قسيم لذاته، ولا شبيه لذاته وصفاته، وأنه متوحد بالأفعال فلا[١] خالق سواه، وبالإلهية فلا إله إلا الله وبالأمر والنهي[٢] فلا حكم إلا لله، وكذلك توحد بالجلال والكمال والإنعام والإفضال فلا فاعل سواه، ثم يلاحظ[٣] معنى ﴿الصمد﴾، وهو السيد الذي تناهى[٤] سؤدده فيرجع إلى صفات الذات، أو الذي يصمد إليه في الحاجات فيرجع إلى صفة الفعل، أو الذي لا جوف له فيرجع إلى نفي التجسيم، ثم يلاحظ ما أكد[٥] به التوحيد السابق بقوله ﴿لم يلد﴾، فإن[٦] هذا نفي للنظير، إذ الولد نظير الوالد ﴿ولم يولد﴾، نفي للإنجاب والإيلاد[٧] ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ نفي للمشابهة من جميع الوجوه، ولما اشتملت عليه هذه السورة من التوحيد المجمل والمبين عدلت ثلث القرآن[٨]، ولمثل ذلك كانت آية الكرسي أعظم آي القرآن[٩].

---

(١) في (ب) "ولا خالق".

(٢) في (ب) "ولا حكم".

(٣) في (أ) "يلاحظه".

(٤) في (ب) "يتناهى".

(٥) في الأصل "وكد".

(٦) ساقطة من (أ).

(٧) في الأصل "الإيجاب والإيجاد".

(٨) يشير بهذا إلى ما رواه أبو الدرداء وأبو هريرة وأنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: "(قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن"، رواه مسلم (١/ ٥٥٦) رقم (٨١١)، وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٤٤)، والترمذي (٤/ ٤٩، ٥٠).

(٩) يشير بهذا إلى ما رواه أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، قال: فضرب في صدري وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر"، رواه مسلم (١/ ٥٥٦)، حديث رقم (٨١٠).

وإلى مثل هذا ترجع فضائل السور والأحوال؛ لأن للسور كلها شرف كونها كلام الله تعالى[١] إلا أن كلام الله في الله أفضل من كلام الله في غير الله؛ لأن له شرفين، شرف كونه وصفاً له، وشرف تعلقه به فيحصل له شرفان.

كما أن كلامنا في الله أفضل من كلامنا في غير الله، ولذلك[٢] يقول أهل المعرفة[٣]: إذا كان ابتداء الحال من الله تعالى وانتهاؤها متعلقاً بالله[٤] فهو أفضل مما تعلق بالله من أحد طرفيه فإن ما منه بدا وإليه يعود، أشرف مما بدا منه ولم يعد إليه.

مثال ذلك: قولهم للمحبة[٥] سببان:

أحدهما: الجلال[٦] والكمال.

والثاني: الإنعام[٧] والإفضال.

فمن أحبه للجلال والكمال أفضل ممن أحبه للإنعام والإفضال؛ لأن محبته متعلقة بالله من جهة أن جلاله وكماله سببها وهي متعلقة بالذات والصفات، وأما المحبة الأخرى فسببها الإنعام والإفضال وهما خلق من خلق الله تعالى وملاحظتها شغل بغير الله تعالى، فالمحب للجلال والكمال مشغول بالله من وجهين[٨] : والمحب

(١) ساقطة من (ب).

(٢) في (أ) "وكذلك".

(٣) المراد بأهل المعرفة هم: من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم صدق الله في معاملته ثم أخلص له في مقصوده ونياته، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ثم تطهر من أوساخه وأدرانه ومخالفاته، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته، ثم دعا إليه على بصيرة بدينه وآياته، ثم جرد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله ﷺ. مدارج السالكين (٣/٣٣٧-٣٣٨).

(٤) في (ب) "متعلقاً بها"، وفي (أ) "متعلقات".

(٥) في (أ) "في المحبة".

(٦) في الأصل "الجمال".

(٧) في (ب) "في الإنعام".

(٨) "من وجهين" ساقطة من (ب).

للإنعام والإفضال مشغول بالله من وجه، وللإنعام والإفضال من وجه آخر.

وقالوا: حال الهيبة والتعظيم أفضل من حال الخوف والرجاء[١] وأكبر؛ لأن الهيبة والتعظيم نشأ عن ملاحظة الذات والصفات وتعلقاتهما، والخوف والرجاء تعلقا[٢] بما يصدر عن الذات والصفات وذلك شغل بغير الله، فالهائب المعظم مشغول بالله من وجهين.

معنى الدعاء بين السجدتين

وأما معنى الدعاء بين السجدتين:

فمعنى قوله: "رب اغفر لي" نداء[٣] بالاعتراف بعز الربوبية وأضافها إلى نفسه إقراراً[٤] بذل العبودية.

وقوله: "اغفر لي" أي استر ذنوبي وغط عيوبي، وأصل الغفر الستر، ومنه المغفرة لسترة الرأس[٥].

"وارحمني": أي عاملني معاملة الراحم للمرحوم، فآثار الرحمة جلب النفع ودفع الضر.

"واجبرني": الجبر هو الإصلاح، ومنه جبرت العظم والفقر أي أصلحتهما[٦].

---

(١) "والرجاء" ساقطة من (ب).

(٢) في (ب) "والخوف أكثره متعلق بما يصدر....".

(٣) في (ب) "بدا".

(٤) في (أ) "بإقرار".

(٥) انظر القاموس المحيط، مادة (غفر) (٢/١٠٣).

(٦) قال في لسان العرب: والجبر أن تغني الرجل من الفقر أو تجبر عظمه من الكسر، انظر اللسان مادة (جبر) (١٤/١١٥)، والقاموس المحيط (١/٣٨٤).

"وارفعني"(١) : المراد بهذه الرفعة رفعة معنوية بالمعارف والطاعات.

"وارزقني" : الرزق كل ما أعطيه الإنسان مما ينتفع به.

"واهدني" : فقد جمع هذا الدعاء خير الدنيا والآخرة.

فينبغي أن يلاحظ هذه المعاني ويوجه الطلب إليها.

وأما التشهد فقد اختلفوا في قوله "التحيات لله"، فقال بعضهم: التحيات هي الملك(٢) الممالك اعترف بأن جميع أجناس الممالك(٣) لله عز وجل، قال الشاعر(٤):

---

(١) ورد في الدعاء بين السجدتين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين: "اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني"، رواه أبو داود والترمذي بإسناد حسن، سنن أبي داود (١/٥٣٠-٥٣١)، جامع الترمذي (١/٢٣٦)، ولفظ الترمذي بزيادة (وأجرني)، ورواه الحاكم في المستدرك بلفظ: "اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني واهدني وارزقني"، وقال: صحيح الإسناد، المستدرك (١/ص٢٧١)، ورواه البيهقي بهذا اللفظ، السنن الكبرى للبيهقي (٢/١٢٢)، ورواه ابن ماجه بلفظ: "رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني وارفعني"، سنن ابن ماجه (١/٢٩٠)، وقال الألباني: صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجه (١/١٤٨)، صحيح سنن أبي داود (١/١٦٠)، قال النووي رحمه الله: الاحتياط والاختيار أن يجمع بين الروايات يأتي بجميع ألفاظها وهي سبعة "اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واجبرني وارفعني واهدني وارزقني"، المجموع (٣/٤٣٧).

قلت: بل ثمانية بإضافة لفظ "واجبرني" كما ورد عند الحاكم والبيهقي.

(٢) انظر الصحاح (٦/٢٣٢٥)، لسان العرب (١٤/٢١٦).

(٣) ساقطة من (أ).

(٤) الشاعر هو زهير بن جناب الكلبي سيد كلب وقائدهم في حروبهم، وكان كثير الغارات، له أشعار وأخبار أورده أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (١٩/١٥-٢٩)، وعمر طويلاً، قال الشرقي بن القطامي: عاش زهير أربعمائة سنة فرأته ابنة له فقالت لابن ابنها: خذ بيد جدك، فقال له: من أنت ؟ فقال: فلان بن فلان بن فلانة، فأنشأ يقول:

أبنيّ إن أهلك فقد ... أورثتكم مجداً بَنِيَّهْ

وتركتكم أبناء سا ... دات زنادُكم وَرِيَّهْ

ولكل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحية

الأغاني (ج١٩ص٢٢)، وانظر الصحاح (١/٢٣٢٥).

ولكل(١) ما نال الفتى قد نلته إلا التحية

أي الملك، وقال بعضهم: التحية العظمة، وهو قول ابن عباس؛ لأن الملوك كانوا يعظمون بالتحية، فيعبر بها عن العظمة، والألف واللام فيها لاستغراق أنواع العظمة وضروبها(٢).

وقيل: التحية البقاء(٣).

وقوله: "المباركات"(٤) البركة في كلام العرب هو

(١) في الأصل "من كل"، والتصحيح من الأغاني (١٩/ ٢٢)، ولسان العرب (١٤/ ٢١٦).

ـ الملوك... عند الملاقاة ولم يكن في تحياتهم شيء يصلح للثناء على الله فتركت واستعمل منها معنى التعظيم فقيل قولوا "التحيات لله" أي أنواع التعظيم لله كما يستحقه.

انظر بتصرف فتح الباري (٢/ ٣١٢-٣١٣)، عمدة القاري (٦/ ١١١). وقال القسطلاني: وجمع لفظ التحيات لأن الملوك كان كل واحد منهم يحييه أصحابه بتحية مخصوصة فقيل جميعها لله وهو المستحق لها حقيقة.

إرشاد الساري (٢/ ١٢٩).

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري: التحيات جمع تحية ومعناها السلام، وقيل: البقاء، وقيل: العظمة، وقيل: السلامة من الآفات والنقص، وقيل: الملك، قال المحب الطبري: يحتمل أن يكون لفظ التحية مشتركاً بين المعاني المقدم ذكرها.

قال العيني في عمدة القاري: قال الخطابي: التحيات كلمات مخصوصة كانت العرب تحي بها الملوك عند الملاقاة ولم يكن في تحياتهم شيء يصلح للثناء على الله فتركت واستعمل منها معنى التعظيم فقيل قولوا: "التحيات لله"، أي أنواع التعظيم لله كما يستحق.

انظر بتصرف فتح الباري (٢/ ٣١٢-٣١٣)، عمدة القاري (٦/ ١١١).

وقال القسطلاني: "وجمع لفظ التحيات لأن الملوك كان كل واحد منهم يحييه أصحابه بتحية مخصوصة فقيل جميعها لله، وهو المستحق لها حقيقة"، إرشاد الساري (٢/ ١٢٩).

(٣) قال به جماعة من العلماء منهم ابن الأعرابي والليث والفراء، لسان العرب (١٤/ ٢١٦، ٢١٧).

ونقل النووي الإجماع على جواز كل من هذه الصيغ وأشدها صحة باتفاق المحدثين رواية ابن مسعود، المجموع (٣/ ٤٥٧).

(٤) ورد في رواية ابن عباس رضي الله عنهما في صفة التشهد: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، فيقول: قولوا التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله". =

كثرة[1] الخير وزيادته وثبوته[2]، وذلك كله مستحق لله عز وجل.

وقوله: "الصلوات" يريد به الصلوات المشروعات بما تشتمل عليه من التعظيم والإجلال بالقلوب والألسن والأبدان، فهي بأسرها مستحقة لله عز وجل.

وقوله: "الطيبات"[3] كل كلمة طيبة مشتملة على ثناء ومدح فهي لله عز وجل لا مشارك له فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾[4]، أراد به توحيده والثناء عليه، فلما بدا بالأهم وهو الثناء على الله ثنى بالتسليم بعد ذلك على رسول الله ﷺ[5]؛ لأنه الأهم[6] بعد الثناء على الله تعالى ثم ثلث بنفسه[7] لقوله ﷺ: "ابدأ بنفسك"[8]، ثم ختم بعباد الله الصالحين[9].

وهو كقول إبراهيم: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ**

=الحديث رواه مسلم حديث رقم (٤٠٣)، وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه صفة التشهد برواية أخرى قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ قلنا: السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان، وفلان، فالتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: "الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله والصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعوا به"، صحيح البخاري، حديث رقم (٨٣١)، صحيح مسلم حديث رقم (٤٠٢).

(١) في (أ) "نمو الخير وزيادته".

(٢) انظر لسان العرب (١٠/٣٩٥، ٣٩٧)، القاموس المحيط (٣/٢٩٣).

(٣) في (ب) "هي كل كلمة".

(٤) سورة فاطر آية (١٠).

(٥) عند قول "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته".

(٦) في الأصل "الأعم".

(٧) أي نفس المصلي عند قول: "السلام علينا...".

(٨) يشير إلى قول النبي ﷺ لرجل من بني عذرة: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا"، يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك"، رواه مسلم عن جابر، صحيح مسلم، الحديث رقم (٩٩٧).

(٩) عند قول: "وعلى عباد الله الصالحين"، وفي نسخة (ب) "ختم بعباده الصالحين".

الْحِسَابُ ﴾[١]، بدأ بنفسه وثنى بأبويه وختم بالمؤمنين.

وكقول نوح: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[٢]، بدأ بنفسه ثم بأبويه ثم بمعارفه[٣] ثم سائر المؤمنين.

قوله: "أشهد أن لا إله إلا الله" اعتراف بأنه لا مستحق لأن يعبد إلا الله، والعبادة هي الطاعة على غاية الذل والخضوع، ولا يستحق ذلك إلا من اتصف بنعوت الجلال[٤] وضروب الكمال، ثم اعترف بعد ذلك بالرسالة للإسلام فإن من أركانه الشهادة بالرسالة[٥].

قوله: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" الصلاة من الله عز وجل هي الرحمة، فقد صار هذا اللفظ شعاراً في حق النبي ﷺ فلا يطلق على غيره إلا على سبيل التبعية، كقوله: اللهم صلي على محمدِ وعلى آل محمد، هذا في حقنا، وأما في حقه ﷺ فله أن يصلي على من شاء منفرداً[٦]، لقوله: "اللهم صلي على آل أبي أوفى"[٧]؛ لأنه حقه ومنصبه فله التصرف فيه كيف شاء بخلاف أمته إذ ليس لهم أن[٨] يؤثروا بحقه.

(١) سورة إبراهيم (٤١).

(٢) سورة نوح (٢٨).

(٣) "بمعارفه" ساقطة من (ب).

(٤) في (أ) "الجمال".

(٥) يشير إلى قول رسول الله ﷺ: "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله..."، الحديث صحيح مسلم، حديث رقم (٢١) (١/ ٤٥)، وانظر صحيح البخاري، حديث رقم (٨)، (١/ ٤٩) مع فتح الباري.

(٦) في (ب) "من يشاء مفرداً كقوله".

(٧) صحيح البخاري حديث رقم (٦٣٥٩) (١١/ ١٦٩) مع فتح الباري، ونصه: "عن ابن أبي أفى قال كان إذا أتى رجل النبي ﷺ بصدقته قال: اللهم صل عليه، فأتاه أبي بصدقته فقال: "اللهم صل على آل أبي أوفى"، انظر فتح الباري (١١/ ١٦٩-١٧٠)، فقد بسط ابن حجر الكلام في الموضوع.

(٨) "لهم" ساقطة من (أ).

"كما صليت على إبراهيم"[١]، ويروى "كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[٢].

فإن قيل: هذا يشعر بأن إبراهيم أفضل من نبينا عليهما الصلاة والسلام فإن المشبه دون المشبه به ؟ ولا شك أن من كانت الصلاة عليه أكثر كان أفضل.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنه شبه الصلاة على آل النبي بالصلاة على آل[٣] إبراهيم.

والثاني: وهو أقرب منه شبّه الصلاة على النبي وآله بالصلاة على إبراهيم وآله فيحصل لنبينا ﷺ ولآله من آثار الرحمة والرضوان ما يقارب ما حصل لإبراهيم وآل إبراهيم لأنهم أنبياء ومعظم الأنبياء هم آل إبراهيم ثم تقسيم الجملة على النبي ﷺ وعلى آله فلا يحصل لآله منها مثل ما حصل لآل إبراهيم ولا يبلغ آل محمد مراتب الأنبياء فيتوفر ما بقي من آثار الرحمة الشاملة على محمد ﷺ، فيكون

(١) ورد في كيفية الصلاة على النبي ﷺ عدة روايات، منها ما أشار إليه من حديث طلحة عن أبيه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: كيف نصلي عليك يا نبي الله ؟ قال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد".

سنن النسائي (٣/٤٨)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، انظر صحيح سنن النسائي (١/٢٧٧)، وورد عند البخاري بلفظ "كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم" صحيح البخاري، حديث رقم (٤٧٩٨)، (٨/٥٣٢) مع فتح الباري.

(٢) ورد بهذا اللفظ من حديث كعب بن عجرة قال: قلنا يا رسول الله السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك ؟ قال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد"، سنن النسائي (١/٤٧)، وقال الألباني: صحيح، انظر صحيح سنن النسائي (١/٢٧٦)، وورد عند البخاري ومسلم بلفظ "كما صليت على آل إبراهيم..." الحديث صحيح البخاري (٨/٥٣٢)، حديث رقم (٤٧٩٧)، صحيح مسلم، حديث (٤٠٦) (١/٣٠٥).

قلت: وبأي لفظ أتى به المصلي من الألفاظ الواردة فهو صحيح إن شاء الله.

(٣) في (أ) "على إبراهيم".

ذلك مشعراً بأن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم.

"إنك حميد مجيد" حميد[١] ها هنا بمعنى محمود؛ لأن فعيلاً أبلغ من مفعول، أي إنك أنت المستحق لأنواع الحمد[٢]، ثم ذكر السبب في استحقاقه لأنواع الحمد فقال:

"مجيد" والمجد الشرف، ومجيد مبالغة من ماجد[٣]، فمعنى الكلام: إنك المستحق لأنواع الحمد لما اتصفت به من أنواع الشرف والمجد.

وأما دعاء القنوت فقد إشتمل على خير الدنيا والآخرة، فإن المطلوب المدعو به ولا يخلو من نفع عاجل أو آجل أو دفع ضر عاجل أو آجل فقوله: "اللهم اهدني فيمن هديت"[٤] طلب نفع عاجل[٥]، وهو النفع في الدين قدمه لشرفه.

"وعافني فيمن عافيت" طلب العافية في الأبدان بعدما طلب العافية في الأديان.

"وتولني فيمن توليت" هذا طلب للمجموع[٦]؛ لأن الله كاف من تولاه فيما يجلبه من نفع أو بدفعه من ضر.

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) انظر لسان العرب (٣/١٥٦).

(٣) انظر لسان العرب (٣/٣٩٥).

(٤) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: "علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر في القنوت: اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت".

رواه أبو داود (٢/١٣٣-١٣٤)، الترمذي (١/٣٤٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن لا يعرف عن النبي ﷺ في القنوت شيء أحسن من هذا، ورواه أيضاً النسائي (٣/٢٤٨) وقال الألباني: صحيح، انظر صحيح سنن النسائي (١/٣٨٠)، والبيهقي (٣/٣٨-٣٩).

(٥) في (أ) "آجل".

(٦) في الأصل "للجموع".

"وبارك لي فيما أعطيت" هذا طلب للزيادة في منافع الدين[١].

"وقني شر ما قضيت" هذا شامل لطلب دفع شر[٢] الدارين، ثم أثنى على الله عز وجل بأنه يغلب ولا يُغالب، ويَقهر ولا يُقهر، ويَحكم ولا يُحكم عليه، فقال[٣]:

"إنك تقضي ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت[٤] تباركت وتعاليت" عن أن يذل من توليت رعايته وحفظه، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

تمت مقاصد الصلاة بحمد الله وعونه وتوفيقه ومنه[٥].

* * *

---

(١) في (أ) "الدين".

(٢) في (أ) "شامل لدفع الضرر في الدارين".

(٣) "فقال" ساقطة من (ب).

(٤) وفي لفظ عند أبي داود والبيهقي: "ولا يعز من عاديت"، سنن أبي داود (٢/١٣٤)، السنن الكبرى للبيهقي (٣/٣٩).

(٥) في (ب) "تمت مقاصد الصلاة بإعانة الله ومنه والحمد لله وحده وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

قائمة أهم المراجع

* إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، تأليف : أبو العباس شهاب الدين أحمد ابن محمد القسطلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (١٣٢٣هـ) .

* البداية والنهاية لعماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي المعروف بابن كثير، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، مكتبة المعارف، بيروت .

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف : ابن حجر العسقلاني، حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني .

* الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تأليف ابن فرحون المالكي، تحقيق محمد الأحمدي، مكتبة دار التراث للطبع والنشر.

* الرسالة التدمرية، تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : د.محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .

* الرسالة الحموية، تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق شريف محمد فؤاد هزاع، مكتبة حراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٤١١هـ-١٩٩١م) .

* السنن الكبرى للبيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .

* الفتح المبين في طبقات الأصوليين، تأليف : عبد الله مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٤هـ) .

* الفصل في الملل والنحل، تأليف : ابن حزم الظاهري، مكتبة خياط، لبنان .

* القاموس المحيط، تأليف : محمد بن يعقوب الفيروزابادي، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة .

* اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري، تأليف أبو الحسين علي بن محمد الشيباني، دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ.

* المجموع شرح المهذب، تأليف: محي الدين يحي بن شرف النووي، تصحيح لجنة من العلماء.

* المصباح المنير.

* المغني، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

* الملل والنحل للشهرستاني، تأليف: الشهرستاني، بهامش الفصل لابن حزم الظاهري، خياط، لبنان.

* الموطأ، للإمام مالك بن أنس، مطبوع مع شرح الزرقاني للعلامة محمد الزرقاني، المكتبة التجارية الكبرى، توزيع دار الفكر (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: يوسف بن تغري بردي الأتابكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م.

* تاريخ بغداد، تأليف الخطيب أحمد بن علي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

* تذكرة الحفاظ، تأليف: أبو عبيدة محمد الذهبي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

* تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة.

* جامع البيان، تفسير الطبري، تأليف: محمد بن جرير الطبري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية (١٣٧٣هـ-

١٩٥٤م).

* حلية الأولياء، تأليف : أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ).

* سنن ابن ماجه، تأليف : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

* سنن أبي داود، تأليف : الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، إعداد وتعليق عزت الدعاس، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٣٩١هـ-١٩٧١م).

* سنن النسائي، تأليف : أحمد بن شعيب النسائي، بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٤٨هـ-١٩٣٠م).

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف : ابن العماد الحنبلي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

* صحيح البخاري.

* صحيح سنن أبي داود، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني، اختصر أسانيده وعلق عليه وفهرسه زهير الشاويش، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

* صحيح سنن النسائي، تأليف : ناصر الدين الألباني، أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

* صحيح مسلم، تأليف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

* صفة الصفوة، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، نشر مكتبة الفلاح، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م).

* طبقات الشافعية لابن السبكي، تأليف: عبد الوهاب بن علي السبكي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

* طبقات الشافعية للأسنوي.

* طبقات المفسرين، تأليف: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، تحقيق علي بن محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

* عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، دار الفكر.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه ونبه على أرقامها في كل حديث محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية.

* فوات الوفيات، تأليف: محمد شاكر الكتبي، دار صادر، بيروت.

* كشف الظنون، تأليف: حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

* كنز الدقائق، تأليف: حافظ الدين النسفي، الطبعة الأولى المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

* لسان العرب، تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار الفكر، بيروت.

* لسان الميزان، تأليف : ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعصر للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ-١٩٧١م).

* مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد، تصوير الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ).

* مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف : ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

* معجم المؤلفين، تأليف : عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث، بيروت.

* مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، تأليف : أبو عبد الله محمد بن محمد الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

* * *